دلالة علوم القران وأثرها في تحليل النص القرآني

أ عـد ا د

الشيخ جَوَاد كَاظِم الفرطوسي

توطـــئـــة :

لايخفى على ذي نظر أن العلوم المتشعبة والمتنوعة لكل منها موضوع ومسائل تتشعب منه مسائله ، ويغوص العلماء في اعماق تلك العلوم لكي يستخرجوا ويبينوا جواهره واسراره وفق عمق الموضوع المدروس وسعته وارتباطه بالعلوم الاخرى ، وحينما يتعلق الامر بدراسة القران الكريم المعجزة الخالدة للنبي الاكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم) تكون المسألة أعظم بكثير ، فلابد من تظافر الجهود وتكاتف العلماء ، فضلا عن المتبحر منهم في كل العلوم لكي يدرسوا ويحلل النص القرآني بالشكل المطلوب وفق ضوابط العلوم المتنوعة للوصول الى المعاني العميقة والدلالات المتنوعة والكثيرة التي تظهر العظمة والاعجاز القرآني ، وان كان الامر فرضا علميا لم نجد من تكفل به وتصدى لتحقيقه على الوجه المطلوب .

ونحن اليوم نريد النظر بالعلوم التي يحتاجها محلل النص القرآني لكي تكمل الصورة التفسيرية والتأويلية والتحليلية على ما نرى من التقسيم الصحيح للاقسام المطلوبة للبيان ، **وبما أن الكلام بالعموم يدور عند العلماء حول التفسير والتأويل وقليل منه يفرز التحليل سوف تجد الكلام مصدر بعبارات التفسير والغرض والغاية منه التحليل الذي يعد قسما ثالثا لبيان المعاني القرانية بشموليتة ، وسوف نعتمد بشكل كبير على محاضرات الاستاذ الدكتور علي سميسم الذ يعد مؤسس ومؤصل لهذا العلم المعبر عنه اسس تحليل النص القرآني لكون ما وجدناه من مصادر تتكلم صريحا عن التحليل هي محاضرات بسيطة متناثرة في بحوث جامعات اخرى حديثة الطرح عما كان يتكلم به الاستاذ منذ عقد من الزمن .**

مـقــدمـــــــــــــة :

لقد اشترطوا للذي يريد أن يفسر آياتٍ من القرآن أو يأول أو يحلل شروطاً لا بد من تحققها فيه، وحددوا له علوماً لا بد أن تتوفَّر عنده، وبيَّنوا له أدواتٍ لا بد أن تكون بين يديه، حتى يكون نظره صواباً، واستنباطه صحيحاً، وفهمه سليماً، وتفسيره وتاويله وتحليلة مقبولاً.

وتأتي أهمية التحليل مع التفسير والتأويل لعلاقة المعنى بالنص ، فعملنا تحليل النص حيث يكون جهد المحلل هو تحليل النص وسبره للوصول إلى معناه ومقاصده، وهو جديد في باب علوم القرآن فتحليل النص القرآني هو أعم من التفسير والتأويل وعلوم القرآن وكل هذه العلوم تدخل جزئيات في تحليل النص القرآني فنستطيع القول أن بين هذه العلوم وبين التحليل نسبة العموم والخصوص المطلق.

وهذا العلم جاء من تحليل النص الأدبي وتحليل النص الأدبي في مجال النقد الأدبي، فالناقد الحقيقي قليل جدا ونفسه المحلل الحقيقي، ومقولة أن اختصاص علوم القرآن غير اختصاص اللغة العربية اشتباه كبير جداً فكل أقسام علوم القرآن ولدت من أقسام اللغة العربية في العراق أو مصر أو غيرها من الدول، فيوجد ضعف كبير في أهل اختصاص علوم القرآن لعدم دراستهم اللغة والأدب والنقد وخصوصاً النقد، إذ النقد عالم واسع وله مذاهب واسعة وله تأثير على التعامل مع النص القرآني فإذا بقينا على العلوم القديمة فقط من تفسير وتأويل وما يوجد لدينا من تراث فلا نحرز تطور ولا نتقدم خطوة للأمام فالتطور يكمن في سبر النقد الأدبي .

التحليل لغة :

التحليل لغة : هو مصدر قياسي على زنة (تفعيل) من الفعل الثلاثي المزيد (حلّل) . وتواجهنا مادة (ح ل ل) في لسان العرب بمعنى الحلول ، فـ (حلّ) بالمكان يحلّ حلولا ومحلّا ، وذلك نزول القوم بمحلة وهو نقيض الارتحال . (حلّ – يَحُلّ) . وأما (حل– يحِلّ) بالكسر فهي وجب يجِب وهي الموضع والوقت كقوله تعالى : (حتى يبلغ الهدي محله) أي الموضع فلا ينحر حتى يبلغ محله أي الموضع والوقت الذي يحل فيهما .[1]

[1] - لسان العرب والمعجم الوسيط ، مادة حلل .

التحليل اصطلاحا:

توجد العديد من التعريفات للتحليل، وأكثر المعنى الاصطلاحي للتحليل ورد في مجال النقد الأدبي وليس في مجال علوم القرآن.

١. **التحليل:** بمعنى رد الشيء إلى عناصره المكونة له مادية كانت أم معنوية.

وينظر هذا التعريف إلى الاصطلاح الأدبي الصرف.

٢. **التحليل:** هو التحليل المفصل للمؤلف الأدبي جزءاً جزءاً .

وينظر هذا التعريف إلى المنهج في النقد الأدبي.

٣. التحليل: هو عملية تفكيك لمكونات نصية ما.

وينظر هذا التعريف إلى التحليل على أنه أثر فني أدبي.

٤. التحليل بالنظر في مفردات القرآن الكريم وتتبع أصولها ومعانيها في العصر الذي نزل فيه القرآن مع القيام باستقراء لتلك المعاني بمختلف استعمالاتها في القرآن الكريم.

وينظر هذا التعريف إلى التحليل اصطلاحاً بالنسبة إلى النص القرآني وهو التعريف المتداول لتحليل النص القرآني.

وهذا التعريف ذو نظرة كلاسيكية قديمة تنم عن عدم اطلاع كامل لما يحتويه التحليل الحقيقي، وعدم اطلاع على ما وصل إليه معنى التحليل وهذا التعريف نظرته ضيقة ولا يوصل على مرحلة عالية من التحليل.

٥. **التحليل:** هو رد المركب إلى عناصره فإن تحليل النصوص الأدبية تحتوي على أجزاء مماثلة لكنه يتجاوزه إلى إعادة تركيب تلك العناصر إعادة لا تتطابق تماماً قصد المؤلف أو تكشف المعنى المباشر الذي يتيحه أسطح النص المدرك بالقراءة الأولى.

أي هناك من يفكك فقط ولكن المحلل يفكك المركب ويعيد تركيبه على هذا التعريف

وينظر هذا التعريف على التحليل بشكل عام في معنييه اللغوي والاصطلاحي

وفي هذا التعريف نظر: إذ صحيح أنه ينطبق على النقد الأدبي والنصوص الفنية والأدبية لكنه لا ينطبق على النص القرآني فلا يمكن أن نطبق هذا المعنى عليه، فلا نرى أن هذه عبارة لا تتطابق تماماً مع قصد المؤلف عبارة تلاءم النص القرآني، إذ أننا صحيح قد لا نصل إلى معرفة ما يريده الله تعالى على نحو الدقة إلا أننا نتوجه بقدر ما أتانا الله تعالى من طاقة لمعرفة هذا القصد والوصول إليه لا أننا من البداية نعرف أننا سنذهب إلى قصد آخر.

وقد تختلف مداخل التحليل الأدبي فقد يكون المدخل:

أ- بنيوياً وهذا يعني أن يكون الانطلاق من مباني المفردات وتراكيب الجمل .

ب- أو يكون دلالياً ينطلق فيه من معانيه الجزئية وموضوعاته الفرعية وأغراضه الغالبة ومقاصده وهو مجال عملنا.

ت - وقد يكون المدخل بلاغياً ينطلق من المظاهر الأسلوبية المستخدمة في

النص.

ولذلك لا يوجد تحليل متكامل كالذي نريد الوصول إليه والذي نتوخاه، فالتحاليل أما أن تكون بلاغية فقط أو بنيوية فقط وهكذا، والمبتغى هو التحليل التكاملي، فالمحلل لا يقف عند قراءة النص لغوياً ونحوياً ومضمونياً فحسب بل يتعداه إلى قراءه النص جمالياً وفنيا وتاريخياً وقد يكون بنيويا وسيميائياً وربما اجتماعياً ونفسياً وهو في كل

هذا يسعى لفك شفرات النص ولغته وتفسير رموزه و عناصره الألسنية ومضامينه

الدلالية عبر أنساقها الخاصة بها.

وقد عرف الدكتور علي سميسم التحليل: هو تحليل النص من الحرف إلى المنظومة السياقية عبر آلياتها الشمولية على وفق المناهج المختلفة.

إذ يرى الدكتور أن النص عندما نبدأ بتفكيكيه نبدأ بتحليل الحرف إذ البداية من الحرف والحرف له دلالة ندرسه في النص من جهات عديدة وقد درس في علم النحو وأعطي لكل حرف معنى مثل(من، على ، إلى) ودرس في علم الأصول في مباحث الألفاظ في مباحث المعنى الحرفي، والحرف له معنى في علم التصوف والعرفان فله دلالات عديدة، وله معاني في علم اللغة مثل كلمة (أف) وصوتها.

أما ما نعنيه من المنظومة السياقية أي يسير التحليل من الحرف مروراً باللفظة التي تتكون من الحروف ولها دلالات ومن اللفظة إلى الجملة التي تتكون من الألفاظ

وبآليات خاصة ومن الجملة نصل إلى النص والسياق، فيكون للحرف معنى واللفظة التي تكونت من الحروف لها معنى والحرف عندما يكون منفرد معنى وعندما يكون منضوي في لفظة مع حروف أخرى يكون للفظة معنى والجملة التي تتكون من هذه الألفاظ يكون لها معنى ودلالة وتحليل، والجملة مع الجمل الأخرى التي تكون النص فيكون النص والسياق معنى والنص مع النصوص الأخرى يكون له معنى، أما الآليات الشمولية على وفق المناهج المختلفة تكون من منهج إلى آخر تؤثر في معناه ودلالته.[٢]

وقد ذكر المرحوم الشهيد محمد حسين الذهبي في " التفسير والمفسرون "[٣] أهم هذه العلوم، سنلخص كلامه عنها، ثم نضيف علوماً أخرى نراها ضرورية وفق رؤية **اهل الاختصاص بالتحليل القرآني** :

١ - **علم اللغة:** لأنه به يمكن أن يشرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها، ويستطيع أن يعرف معاني الكلمات الغريبة في القرآن، ويكون في هذه المعرفة ملتزماً باللغة ومقاييسها وفقهها.

٢ - **علم النحو والصرف:** لأن المعنى يختلف بحسب اشتقاق الكلمة القرآنية أو وجوه تصريفها، كما يختلف باختلاف وجوه الإعراب وتوجيه تلك الوجوه.

٣ - **علوم البلاغة:** حتى يقف على طرفٍ من بلاغة القرآن ووجوه إعجازه، ومظاهر بيانه وجماله، وأساليب أدائه، وألوان تأثيره وسوف نقف عليها بعض الشئ .

٤ - **علم القراءات:** لأن القراءات توقيفيةٌ وهي كلام الله، ومنها يعرف وجوه القراءات وتوجيهها، وبيان اختلاف المعنى والأحكام على كل قراءةٍ منها.

٥ - **علم أصول الدين:** حيث يعرف أساسيات العقيدة وخصائص التصور الإسلامي والألوهية والعبودية. ويعرف الإيمان وأركانه، والإنسان ووظيفته، والحياة ومعناها، والكون وغايته، والغيب وحقيقته، واليوم الآخر وقدومه.

٦ - **علم أصول الفقه:** ليعرف كيف يستنبط الأحكام والأدلة من القرآن، وكيف يتعامل مع أساليب الخطاب القرآني، ووجوه التكليف فيه، وطرق عرض أحكامه.

---

[٢] - الدكتور علي سميسم ، محاضرات اسس تحليل النص القرآني ، ٢٠٢٣

[٣] - محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ج١ ص ١٩٠

٧ - **علم أسباب النزول:** ليعرف الجو الذي نزلت فيه الآيات، والحالة التي تعاملت معها، والمشكلة التي عالجتها، والخطأ الذي قوَّمته.

٨ - **علم الناسخ والمنسوخ:** حتى لا يقع في التناقض في فهم الأحكام التي تشير إليها الآيات.

٩ - **علم التاريخ:** ليطلع على أخبار السابقين، ويحسن التعامل مع قصص القرآن، واستخراج السنن الثابتة في حياة البشرية.

١٠ - **علم الحديث:** ليطلِع على تفسير الرسول عليه الصلاة والسلام للقرآن، باعتبار السنَّة موضحة للقرآن، ومفسِّرة له، ومبيِّنة لأحكامه ومكمِّلة لتوجيهاته، وليعتمد ما صحَّ من الأحاديث، ويتجنَّب ما لم يصح منها حتى لا يأخذ منها حكماً، أو يكوِّن منها رأياً.

١١ - **علم السيرة النبوية:** لأن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الترجمة العملية للقرآن، حيث كان خلقه القرآن ، لذلك تعتبر سيرته وحياته العامة والخاصة هي أصدق تفسير للقرآن، والمظهر العملي الواقعي لتوجيهاته وأحكامه.

١٢ - **علم الرجال:** وبخاصةٍ الخلص من أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، ليعرف كيف كانوا يحيون بالقرآن، ويعيشون في ظلاله، ويطبِّقون أوامره وأحكامه. فيقتدي بهم في كل هذا، ويلحظ البعد الواقعي العملي التطبيقي للآيات، الذي ينقلها من كونها مجرد توجيهاتٍ مثاليةٍ خياليةٍ نظريةٍ يستحيل تطبيقها على الواقع، إلى كونها حقائق واقعية، وقيماً حياتية وبرامجَ عملية وخططاً مُعاشة في حياة الناس ..

١٣ - **العلوم النظرية البحتة،** للوقوف على الأبعاد الجديدة للآيات، وتوسيع معانيها، ورفدها بما توحي به هذه العلوم من حقائق وظواهر وبيِّنات، سواءٌ في عالم الفلك أو الزراعة أو الكون أو الطب أو الاختراع.

١٤ - **العلوم الإنسانية والاجتماعية،** التي تُعرض من خلالها مضامين جديدة للآيات التي تشير إلى هذه المجالات، فيجد من هذه الآيات حياةً وحيوية، وقوةً وتأثيراً، وتوجيهاً وإرشاداً. وهذه العلوم مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة والإعلام والدعوة.

١٥ - **العلم بالأعداء الكافرين،** والاطِّلاع على حياتهم وأنظمتهم وتشريعاتهم، والوقوف على أفكارهم واهتماماتهم - وبخاصة المعاصرين منهم - ليحسن فهم الآيات التي تكشفهم وتحلِّل حياتهم.

ولعل اكثر هذه العلوم والامور تطرح للتفسير والتأويل ، **ولكن عند بيان معنى التحليل سوفر ترى التركيز على دلالات واليات وعلوم أخرى ضرورية للوصول للمعنى المطلوب منها [٤]:**

١٦- الالية البلاغية :

من الآليات المهمة جدا في تحليل النص القرآني فهي إحدى الآليات والوسائط للوصول الى المعنى المقصود فهي تسلط الضوء على الإبداع الفني الراقي في النص وتظهر جمالياته.

وهي التي تظهر الركيزة الأساس للإعجاز القرآنى فهي تخلط السمو العقلي بالسمو الفني

والذوق السامق في النص القرآني، والدخول في تفاصيل هذه الآلية واستخراج مكامنها الإبداعية بتفاصيلها يحتاج إلى فسحة زمنية واسعة لذا نمر عليها باختصار شديد جدا لنستدل منها على الفوائد الجمة التي يحصدها المحلل عبرها.

على المحلل أن يضبط العلوم الثلاثة البلاغية وهي: ((علم المعاني - علم بيان - علم البديع)) كما مر سابقا ويبحث كما تعلمون في هذا العلم مواضع الإسناد في الخبر والإنشاء وفي حقيقة الإنشاء وأنواعه وفي أحوال المسند إليه والمسند وفي الإطلاق والتقييد وفي أحوال متعلقات الفعل في القصر وفي الوصل والفصل وفي الإيجاز والإطناب والمساواة.

وعلم البيان ويبحث فيه ما يتعلق بالحقيقة والمجاز ومن المجاز التشبيه بأقسامه التشبيه المرسل الذي ذكرت أداته والتشبيه المؤكد الذي حذفت أداته والتشبيه البليغ الذي حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه وكذلك من المجاز الاستعارة بأنواعها التصريحية والمكنية والتحقيقية والتخييلية ومن روائع المجاز أيضا الكناية بأقسامها التعريض والتلويح والرمز والإيماء والمجاز المرسل والمجاز العقلي وما إليها.

وكذلك علم البديع وهو يبحث في الطباق والجناس والتورية والتقابل وما إليها فهذه كلها ينبغي على المحلل للنص القرآني ان يعطيها حقها من الدرس والفهم والتحليل والتعليل لمعرفة معاني القرآن المجيد معرفة شاملة وافية لا تقف عند جوانب دون أخرى وإنما تتناول الجوانب كلها إذ يتعلق بالعلم الأول وهو علم المعاني: (وهو العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اقتضاء الحال وفيه تدرس الجملة بركنيها المسند ويسمى محكوما به أو مخبرا به أو متحدثا والمسند إليه

[٤]- الدكتور علي سميسم ، محاضرات اسس تحليل النص القرآني ، ٢٠٢٣

ويسمى محكوما عليه و مخبرا عنه او متحدث عنه والنسبة التي بينهما تسمى الإسناد) ولذلك ظواهر تعبيرية كثيرة مثل الخبر والإنشاء والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والإطلاق والتقييد والوصل والفصل والإيجاز والإطناب والمساواة ولا نخوض تفصيليا بهذه العلوم الثلاثة بتفاصيلها ولكن نأخذ مقتطفات مهمة كما يقال من هذا العلم ويترك لكم البحث في تفاصيله.

فأحد أقسام علم المعاني ألا وهو الخبر وهو يدخل بأحوال الإسناد الخبري ففي الإسناد الخبري وعرفوا الخبر (هو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته) وأقسام الجملة من مسند والمسند إليه والنسبة بينهما التي هي الإسناد وان ألفاظ الجمل لها معانيها الخاصة كألفاظ ولكن لا يتم معنى الجملة ولا يتم معنى الخبر إلا بترابط هذه الألفاظ باسناد احدها الى الآخر وإلا فاللفظ لوحده معنى لا يعطيه بعد الإسناد، فبعد الإسناد يعطي معنى آخر يعطي معنى الخبر فكلمة (محمد) لوحدها لها معناها وكلمة (ناجح) لوحدها لها معناها ولكن عند إسناد النجاح إلى محمد في جملة (محمد ناجح) مثلا تعطي معنى الجملة الخبرية التي لا تعطيها الكلمات وهي منفردة.

والمتكلم له غرض من وراء إيراد الخبر فالمتكلم العاقل القاصد عندما يورد خبر معين لابد ان له غرض من ذلك ويسعى من وراء إعلامه إلى غاية ما لذا حصر البلاغيون أغراض الخبر في مقصدين اساسيين: (قصد المخبر – أفادة المخاطب))

فقالوا ان قصد المخبر بخبره اما افادة المخاطب او السامع مضمون الخبر ونفس الحكم فهو يقول محمد ناجح هو اعلام لمن لا يعلم بنجاح محمد وهذه المعرفة من هذا الخبر تسمى بفائدة الخبر وهو المقصد الاول وهو الغرض الاول من الخبر

اما الغرض الثاني والمقصد الثاني من الاسلوب الخبري هو افادة المخاطب عندما يكون المتكلم وهو ناقل الخبر عالم بالحكم و بمضمون الخبر الذي يعلمه المخاطب ايضا اي ان المخاطب يعلم ايضا بمضمون الخبر ولكن يجهل معرفة المتكلم به بقوله لمن ظهرت نتيجة اختباره ووقف على نبئ نجاحه تقول له (انت نجحت) وهو يعلم انه ناجح ولكن قولك انت نجحت تريد أن تخبره انك تعلم بذلك وقوله لمن اسمه محمد اسمك محمد فالمخاطب لا يجهل اسمه ولكن المتكلم يريد افادته انه هو الآخر عالم بالحكم و بمضمون الخبر ويسمى هذا لازم الفائدة وهو المقصد الثاني من الاسلوب الخبري.

١٧- الالية المعجمية :

إن للمعجم أهمية كبرى عند جميع الأمم التي تحافظ على لغتها وعنه يأخذون ألفاظها ويكشفون غوامضها ولذا لا يكاد فرد لديه قسط من العلم يستغني عن الرجوع إلى

المعجم لذا أصبح علم المعجم علما واسعاً له جوانب عديدة ونظريات تتناول أسس صناعته، وأصبحت الدراسات المعجمية تحتل حيزاً كبيراً من الدراسات اللغوية الحديثة ولم يقتصر هذا العلم على صناعة المعجم كما كان يغلب على الجهود السابقة بل أصبحت هذه الصناعة تخضع لقواعد وأسس دقيقة وله دور مهم في تحليل النص القرآني .

١٨- آلية الالفاظ الغريبة :

إن الآلية المعجمية هي جزء من الآلية اللغوية إذ الآليات اللغوية تضم فروع عديدة منها الآلية المعجمية التي تكلمنا عنها سابقا وإلا فإن الآلية اللغوية هي البحث في علم اللغة الذي هو العلم الذي يدرس بناء اللغة وكيفية تركيب مفرداتها وتكوين الكلمات فيها ومعرفة الأصوات الخاصة بكل كلمة وطبيعة نطقها، ومن علم اللغة علم فقه اللغة والفقه لغة هو الفهم وهنا جاء بمعناه اللغوي أي فهم اللغة والتمكن منها لاستخدامها في المكان والزمان المناسبين الحفاظ على شكلها وظاهرها، ويدخل في الآلية اللغوية أيضا علوم النحو والبلاغة والصرف وغريب الألفاظ وما يعرف حديثا في التعبير القرآني، وتقطيعها إلى آليات ، وهذا الكلام وهذا المعنى الاصطلاحي يجري على النصوص الفنية غير القرآن الكريم لأنه كيف لنا أن نصف لفظة قرآنية دقيقة المعنى والاختيار والصياغة بالغريبة أو نصفها بأنها وحشية، قال الرافعي: ((وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة فإن القرآن منزه عن هذا جميعه وإنما اللفظة الغربية ها هنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس - أي أهل العلم والدراية وسائر الناس)). وعلى هذا التوجه سار التعامل مع مصطلح غريب القرآن منذ صدر الإسلام إذ جاء في غريب ابن عباس مادة (عزين) ((... فقالا يبن عباس أخبرنا عن قول الله عز وجل عن اليمين وعن الشمال عزين قال عزين الحلق الرفاق قالا: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت قول عبيد بن الأبرص: فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا.

فالمعنى الاصطلاحي لغريب ألفاظ القرآن الكريم هو شرح أو تفسير ألفاظ القرآن. ومن أدلة ذلك ما أثبته الراغب الأصفهاني في (غريبه) في تفسيره المفردة (الغنم) قال في تفسيره: الغنم) معروف، قال تعالى ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ، والغنم إصابته والظفر به ثم استعمل في كل مظفور به من جهة العدى وغيرهم)) ويشبهه أيضاً ما جاء في تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب) لأبي حيان

الأندلسي، قال: (شجر) في الآية { ومن الشجر ومما يغرشون ، وما قام على ساق، وغيرها من الألفاظ اللغوية المعروفة المتداولة كـ (زوج) و (صيد))) .

والواقع أن أصحاب مصنفات (الغريب) قصدوا تفسير الألفاظ حقيقة لا البحث

عن الغريب في عرف البلاغيين كما توحي التسمية به .

١٩- الالية النحوية .

وما لها من أثر في تحليل النص القرآني ومصلحة في بحوث التفسير، فالنحو هو أساس تحليل النص وبيان وجوه إعجازه وهو عمدة اللغوي فاتجهت طائفة النحات إلى دراسة القرآن الكريم وفهم منهجه اتجاهاً نحوياً فأخذت تعنى بإعراب القرآن الكريم ثم توسعت في ذلك فتناولت بالدراسة علل التأليف أو علل الإعراب وارتبط علم النحو عند القدماء بعلم القراءات فكانوا يعدون النحو على انه أداة لتصحيح القراءات لذا نشأ النحو على أيدي العلماء القراء حتى صار النحو له الدور المهم في بيان مفردات القرآن بل متفوقا على دور اللغة في التأصيل والاشتقاق وقد حققا هو وعلم اللغة معا علاقة النظم القرآني، ومما لا يخفى على دارس علوم القرآن والشريعة والحديث والأدب والعقائد أهمية علم النحو فهو من ثوابت فهم النص القرآني لأنه بهذا العلم يحدد المعنى .

إن أغلب الباحثين في هذا الميدان يرون أن غاية النحو هي فهم القرآن الكريم

ومقاصده ومعانيه ومظاهر الإعجاز فيه، إذ أكد عبد القاهر الجرجاني على تحصيل

ملكة النحو، إذ بعلمه نتعرف على الفوارق بين المعاني فكان تحصيل علم النحو **واجبا على المفسر والمؤول والمحلل،** وما يزيد الاستغراب نجد من يدعى الاختصاص في علوم القرآن وفي الفقه والأصول وهو يلحن أو هو غير ضابط لهذا العلم لان من دونه يضل الطريق ولا يصل إلى القصد، لذا قال السيوطي (٩١١ هـ) في الإتقان في الجزء الرابع على المفسر جملة من العلوم منها اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق وعلم المعاني البديع والقراءات وأصول الدين وأصول الفقه الخ).

٢٠- الالية الصوتية :

ان المعارف الصوتية وصلت من التطور حتى أصبحت علما بذاته له موضوعه وتعريفه و به اهتمام كبير في الجامعات العربية والغربية وفي ضمن دراستهم هناك

فقد صنعوا مختبرات للصوت وأفاد من هذا العلم ومن مختبراته طلاب التجويد القرآني وطلاب علم الموسيقى وطلاب الآداب في اللغات إذ كانوا يدخلون هذه المختبرات الصوتية ليتعرفوا على النبر الصوتي وعلى الفونيم أي الجزء الأصغر الصوتي لان لكل هذا له دلالة.

إن هذا العلم له جذور قديمة عند علماء العرب الذين درسوا مخارج الحروف

وبينوا مكانها تشريحياً وصفاتها الصوتية وارتباط تلك الأصوات بالمعاني وقد تطور هذا العلم ليبلغ مكانة عالية على يد العلماء الأوروبيين من أمثال (دي سوسير) وغيره ليضعوا النظريات والمؤلفات العديدة في هذا المجال ، وهنا نعلم أن العلماء العرب تنبهوا للدلال الصوتية واخذوا يبينون المعنى الدلالي من الألفاظ ، والنتيجة أن هناك ارتباط وثيق بين علم الدلالة وعلم الصوت وبذلك قد تم توظيف صوت القرآن بجميع مستوياته وبشكل دقيق لخدمة المعنى الذي افرغ فيه، وعند استقراء البحث في الجهد الصوتي عند علماء العرب نجد جهدا متميزا واكبه الغربيون.

٢١- دلالة السياق :

اتّسم الخطاب القرآني بعديد السّمات التي كانت مُميِّزةً له السّماوية الأخرى، إذ تعدّدت أنماطه الخطابيّة التي كانت موجّهةً للآخر، فكان كلّ نمطٍ يعبّرُ عن الوضعية الواقعية التي كان كلّ متلق يستقبل خلالها الخطاب القرآني. وقد اهتمّ الدارسون والباحثون قديما وحديثا بقضيّة السّياق ودوره في فهم الخطاب القرآني، ذلك أن السّياق يكتسي أهميّة كبرى أثناء العمليّة التّخاطبيّة أو التّواصليّة؛ فهو –أي السياق- من يجعل من الرّسالة ذات فعاليّة وتؤدّي وظيفتها الحقيقيّة.

٢٢- الدلالة الايحائية بجميع اقسامها التي تشمل الكلمة او الكلمات او الهيئة والتركيبة او ما يحوم حول الكلمة :[٥]

الدلالة الإيحائية تتمثل في إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة والايحاء قائم على عدم التضرع المباشر وعن المعنى المراد إيصاله للقارئ بل يعطي ما يدل على ذلك المعنى من خلال كلمات تحمل الكثير من المعاني العميقة الخفية والساحرة ويُفصح الإيحاء عن شاعرية واستفاضة الدلالات وطاقاتها الموحية. عرفه النقاد المعاصرون بأنه هو الإشارة إلى معنى غير مباشر من خلال التلميح والتعريض والكناية والرمز والإيهام والإضمار وبهذا تحمل الكلمات معاني ودلالات ذات تأثير نفسي يُفضي في النهاية إلى صورة معينة في نفس المتلقي يمكن في أثناءه استرجاع أحداث معينة وتداعي معان غير حرفية.

[٥] - الدكتور علي سميسم ، محاضرات اسس تحليل النص القرآني ، ٢٠٢٢

إذن الدلالة الإيحائية هي الدلالة المستوحاة من اللغة الفنية بوظيفتيها الأولى: التواصلية التي يشترك بها المتكلمون جميعاً وهي اللغة العرفية المباشرة في ألفاظها ودلالاتها المنطقية في بناء جملها.

أما الثانية، فهي الوظيفة التأثيرية الجمالية فضلاً عن التواصل وتنبني على الاختيار وتزخر بالتحولات السياقية والتبدل اللفظي وهذه الوظيفة كما في القرآن تجعل للغة روحاً تتنفس فيض الكمال والجمال عبر ريح الفن والخيال لتبزغ الدلالة التي يوحي بها اللفظ بالأصداء والمؤثرات في النفس فيكون له.

وعلى الرغم من أن مسألة التحليل قد شغلت أذهان أصحاب التفسير والتأويل ، إلاّ أنه وللأسف الشديد لم تحْظَ بالتحقيق والتأليف الوافي والمستقل. ولا يخفى أن الاستيعاب الكامل لجميع أطراف هذه المسألة بحاجةٍ إلى مجال أوسع.

العلوم الضرورية في التفسير والتأويل والتحليل :

قال وهب بن وهب القرشيّ: حدّثني الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ع: أنّ أهل البصرة كتبوا الى الحسين بن عليّ ع يسألونه عن «الصَّمَد» فكتب إليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد، فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، و لا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدّي رسول الله‘، يقول: مَنْ قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار»[٦].

إن العلوم التي تمسّ إليها الحاجة في علم التفسير هي من المباحث التي شغلت أذهان المفسِّرين والمختصين في الشأن القرآني منذ القدم. وبطبيعة الحال، وإلى جانب «العلوم» التي تمس الحاجة إليها في التفسير، يتمّ الحديث أيضاً عن «المصادر» التي تمسّ الحاجة إليها في علم التفسير أيضاً، بحيث تمّ بحث هذين الأمرين في الكتب التي تعنى بالعلوم القرآنية على الدوام[٧]. بل حتى المؤلفين والمحققين المعاصرين لا يخلو أمرهم من الاهتمام الشديد بالخلط والاشتباه بين هذين الأمرين[٨].

إن المراد من «المصادر التفسيرية» هي الأمور التي تضع المعلومات والمعطيات المتناسبة مع الآية (أو الآيات) من حيث المحتوى في تصرّف المفسّر، وتعمل على توضيح معاني الآيات ومضمون الألفاظ المستعملة فيها. وعليه فإن جميع الأمور

---

[٦] - الصدوق، كتاب التوحيد: ٩٠ ـ ٩١.

[٧] - انظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٢: ١٥٦ (فصلٌ في أمهات مصادر التفسير)، ٢: ١٥٣ (فصلٌ آخر في حاجة المفسّر إلى الفهم والتبحر في العلوم).

[٨] - انظر: محمود رجبي، روش شناسي تفسير قرآن: ٢٦٢.

التي يحصل المفسّر من خلالها على المعارف الناظرة إلى مفاد الآيات تُعَدّ من مصادر التفسير. أما العلوم التي تمسّ الحاجة إليها فهي العلوم التي يتمكن المفسّر في ضوئها إما من الاستفادة من المصادر بشكلٍ أكبر وأفضل، أو التي تكشف الغموض عن نصّ الآية، وتعمل على استنطاقها.

فعلى سبيل المثال: قد يخطئ المفسر الجاهل بعلم الرجال والدراية والأصول، فيعتمد على رواية ضعيفة السند أو الدلالة، فيكون بذلك مفتقراً إلى الشرائط التي يجب توفرها في المفسر، فيستند إلى تلك الرواية، وعلى أساسها يتصور أن فهمه الخاطئ هو التفسير الصحيح للآية. وبذلك يكون اعتماد المفسر على هذا المصدر الروائي الخاطئ ناشئاً من جهله وعدم علمه بالعلوم التي يحتاج إليها المفسر[٩].

وحيث يتعذر لشخص واحد الاختصاص في جميع العلوم عادة فإن الشيخ معرفت ينصح ـ بدلاً من الاختصاص في جميع العلوم ـ بضرورة العمل الجماعي في مجال التفسير[١٠].

لا نمتلك عن الشيخ معرفت في بيان وتعداد هذه العلوم كلاماً مركزاً وجامعاً، ولكنه في الوقت نفسه ينقل في بعض المواضع عن الراغب الإصفهاني قوله: لا يمكن تحصيل هذا الأمر إلاّ بعلوم لفظية وعقلية وموهبية:

فالأوّل: معرفة الألفاظ، وهو علم اللغة.

والثاني: مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض، وهو علم الاشتقاق.

والثالث: معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية والتصاريف والإعراب، وهو النحو.

والرابع: ما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات.

والخامس: ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، وشرح الأقاصيص التي تنطوي عليها السور، من ذكر الأنبياء ع والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار.

والسادس: ذكر السنن المنقولة عن النبي (ص) وعمَّنْ شهد الوحي...، وذلك علم السنن.

---

[٩]- انظر: المصدر السابق: ٢٦١ ـ ٢٦٢.

[١٠] - انظر: فصلية (پژوهشهاي قرآني)، العدد ٩ ـ ١٠.

والسابع: معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف، والمجمّل والمفسّر، والقياسات الشرعية...، وهو علم أصول الفقه.

والثامن: أحكام الدين وآدابه...، وهو علم الفقه والزهد.

والتاسع: معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقية...، وهو علم الكلام.

والعاشر: علم الموهبة، وذلك علم يورثه الله مَنْ عمل بما علم[١١].

وأما في التبويب الراهن للعلوم فيتمّ إدراج علم القراءات والنسخ وما إليهما في العلوم القرآنية، ويتم إدراج العموم والخصوص وما إليهما في علم الأصول. كما يمكن اعتبار علم الحديث والتاريخ من علم الآثار والأخبار. بَيْدَ أنه لم يتمّ الحديث هنا عن العلوم البلاغية والعلوم التجريبية والإنسانية الحديثة. وسوف نتحدّث في المستقبل عن إشارات الشيخ الشيخ معرفت إلى ضرورة هذه العلوم أيضاً. هذا وقد تحدّث سائر العلماء والمختصين في العلوم القرآنية عن هذه العلوم، قليلاً أو كثيراً[١٢].

«على الرغم من أن القرآن غنيٌّ عن العلوم الأخرى من حيث المحتوى، وعن حلول الأغيار من حيث الدلالة، إلا أن هذا الاستغناء لا يستلزم أن يتعاطى الفرد مع القرآن الكريم متجاهلاً ما تقوله العلوم والمعارف الأخرى، ويتعامل مع القرآن والكتاب السماوي العظيم كأيّ شخص سطحي آخر؛ إذ هناك فرقٌ بين التحميل والتحمّل. فالصحيح هو أنه لا يحقّ لأحد أن يحمل على الوحي الإلهي شيئاً من معطيات العلوم البشرية، بَيْدَ أن تحصيل العلوم يعمل على توسيع الآفاق الذهنية، ويجعلها مستعدة للتحمل الصحيح والملحوظ لمعارف القرآن»[١٣].

علوم الحديث :

الحديث وكيف نتعامل مع النص الأدبي.

وقد وقف الباحثون والمحدثون عند النص كونه تناصاً أو خطاباً أو أثرا إضافة على معرفة المصطلحات الأساسية التي يتعامل معها الباحث إجرائيا **وهي التحليل ، التفسير، التأويل ، الشرح ، القراءة ،** وهي مصطلحات كل واحد منها له حيثيته وخصوصيته ولها أهمية كبرى في تحليل النصوص الأدبية لكون فلسفة التحليل

---

[١١]- محمد هادي معرفت، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ١: ٥٠ ـ ٥١،

[١٢] - انظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، النوع الثامن والسبعون؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، النوع الحادي والأربعون؛ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن؛ الراغب الإصفهاني، مقدمة التفسير.

[١٣] - انظر: جوادي الآملي، تفسير موضوعي قرآن ١: ٧٤، نقلاً عن: روش شناسي تفسير قرآن

تستنبط منها وتقوم عليها.

وعلى الناقد والمحلل تحليل النص مع النظر إلى المصطلحات المتجاورة فيسعى إلى إضافة أهم المفاصل النقدية التي تطرق إليها النقاد والدارسون فيما يتعلق بمصطلحات تجاور معنى التحليل كالتفسير والتأويل والشرح والقراءة وغيرها لذا وقف الدارسون طويلاً في حيثيات هذه المصطلحات من النقاد والفلاسفة ليصوغو تعريفات جامعة مانعة لهذه المصطلحات، وفي معيتهم المعاجم اللغوية فقد اعتمدوا على المعاجم اللغوية اعتمادا كليا إضافة إلى الثراء النقدي والعقلي والفلسفي وفي بحثنا المعاجم العربية هي المعنية والمعاجم التخصصية بالنقد الأدبي.

وقد توصل كثير منهم إلى **أن مصطلح التحليل يختلف معناه عن معاني المصطلحات الأخرى وهو لا يرادفها،** إذ هناك العديد من الدارسين قد قال بترادفها مع مصطلح الشرح ومصطلح التفسير وفي نظر الدكتورعلي سميسم هو اشتباه ورؤية غير دقيقة بل كان له اصطلاحه الخاص واختلفت طرقه باختلاف المناهج التي سبرته والمذاهب والاتجاهات والتيارات النقدية المتنوعة لذا فالمحلل الحقيقي هو أندر من الكبريت الأحمر، فبالإضافة إلى الآليات المذكورة لا بد أن يعرف المذاهب والاتجاهات والتيارات النقدية والنظريات النقدية حتى يستطع العمل وعليه أن يكون عارفاً بالمناهج العامة المختلفة أيضاً والمناهج النقدية التي تناولت النص من الخارج مثل المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي أو تلك التي تناولته من الداخل كالبنيوية والأسلوبية والتفكيكية والسيميائية والنقد الثقافي التفاعلي، وعلى المحلل أن يكون عارفاً بالنظريات النقدية الحديثة والمعاصرة التي بدأت تباشيرها في مطلع القرن العشرين على يد البنيويين الأمريكيين والشكلانيين الروس وكان من البارزين في علم اللغة فرناند دي سوسير والدكتورعلي سميسم يرى أن التحليل الحقيقي هو الذي يسير على وفق المنهج التكاملي ولذلك نقول أنه أندر من الكبريت الأحمر إذ المنهج التكاملي هو الذي يخوض في كل المناهج إضافة إلى كل الآليات ومعرفة الاتجاهات ومعرفة النظريات ومعرفة التيارات ومعرفة النقد الأدبي وتفاصيله ونظرياته إضافة إلى معرفته بالمناهج ويكون عمله في خوضه في تحليل النص على وفق المنهج التكاملي وهو نادر جدا، **فالمحلل الدقيق أدبية كانت النصوص أم دينية يجب أن يعمل على المنهج التكاملي ليوصل النص إلى آفاق تثري وجوده وتنقل القارئ إلى تعددية المعنى التي تمنح النص ثراءه وغناءه.**

وصحيح أن النقاد العرب أخذوا المفاهيم والنظريات من الغرب إلا أنهم حاولوا محاولات انزياحية فلم يكونوا ناقلين أو ناسخين أو تابعين بالمعاني الحرفية للكلمات فحاولوا الانحراف والانزياح عن الأصول وتطويرها ولكن النص عليها أوقع

الدارسين والباحثين في إشكالات كثيرة.

ضرورة الحديث في التفسير والتأويل والتحليل :

يذهب الشيخ معرفت إلى الاعتقاد بأن القرآن الكريم ليس فيه آية إلاّ ولها ظهر وبطن، وأن هذا الظهر والبطن لا يعلمه «إلا الله والراسخون في العلم»، وأن أفضل طريق لفهم أسرار القرآن الكريم هو اللجوء إلى حرم أهل بيت الوحي والنبوة الأطهار ع[١٤].

وقد ذكر الشيخ معرفت في كتاب «التمهيد» ثلاثة أمثلة من آيات القرآن الكريم، يثبت من خلالها أنه لولا روايات أهل البيت ع لما تمكّن المفسرون من كشف الغموض عن آيات القرآن الكريم[١٥].

كما قال سماحته، في كتابه «التفسير الأثري الجامع»: «الأصل في التفسير هو النقل المأثور، المنقول إلينا عبر المصادر المعتبرة»[١٦].

وقال سماحته في موضع آخر: «إن المفتاح الرئيس لفهم القرآن ـ بشكل كامل ـ في يد العترة الطاهرة، وليس هناك من سبيل لتفسير القرآن الكريم سوى التزوّد من معينهم الذي لا ينضب، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهْ) (الأنعام: ٩٠)»[١٧].

وقد فصَّل سماحته إجمال هذه المسألة في موضع آخر، قائلاً: «لا شَكَّ في أن القرآن الكريم هو المصدر الأول لتفسير القرآن... كما يُعَدّ رسول الله‘ هو المصدر الثاني لتفسير القرآن؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (النحل: ٤٤)»[١٨].

العلوم القرآنية:

إن التعريف الدقيق لحدود ومساحة «العلوم القرآنية» سؤالٌ لا تسهل الإجابة عنه بدقّة. بَيْدَ أن الشيخ معرفت قال في هذا الشأن: «إن العلوم القرآنية مصطلح يعنى بالمسائل المرتبطة بمعرفة القرآن وشؤونه المختلفة. وإن الفرق بين العلوم القرآنية والمعارف القرآنية يكمن في أن العلوم القرآنية تتناول القرآن من خارجه، ولا شأن

---

[١٤] - انظر: محمد هادي معرفت، التمهيد إلى علوم القرآن ١: ٢٦٤

[١٥] - انظر: المصدر نفسه.

[١٦] - انظر: محمد هادي معرفت، التفسير الأثري الجامع ١: ٥.

[١٧] - انظر: محمد هادي معرفت، تفسير ومفسران ١: ٥٢٦. كما ذكر سماحته عشرة أمثلة من آيات القرآن ضمن ثمانين صفحة من نهاية الجزء الأول من كتابه (تفسير ومفسران)، وبيّن فيها الدور الهام لروايات أهل البيت ع في تفسير هذه الآيات.

[١٨] - انظر: معرفت، التفسير الأثري الجامع ١: ١٢١.

لها بالمحتوى الداخلي للقرآن من الناحية التفسيرية، أما المعارف القرآنية فتعنى بالمسائل الداخلية والمضمونية»[١٩].

ضرورة العلوم القرآنية في التفسيروالتاول والتحليل :

تأتي ضرورة البحث عن العلوم القرآنية من حيث إنه ما لم يتمّ التعرف على القرآن بشكل كامل، وما لم يثبت أن القرآن هو كلام الله، لا يكون هناك معنى للبحث عن تناسب محتواه ومضمونه. وللوصول إلى النص الأصلي الذي نزل على رسول الله‘ لا بُدَّ من إيضاح ما إذا كانت جميع القراءات (أو بعضها) هي الموصل إلى النصّ الذي يضمن الهداية حتماً؟

ومن الضروري في مجال النسخ تحديد الآية المنسوخة من الناسخة. كما يعتبر أصل وجود أو عدم وجود النسخ من المسائل الهامّة جداً في التفسير.

وباختصارٍ: إن لكل مسألة من مسائل العلوم القرآنية دوراً مؤثراً في الاستفادة من مضامين القرآن الكريم. وإن هذه المسائل قد تكون أحياناً بمثابة المبادئ التصورية؛ وأحياناً بمثابة المبادئ التصديقية، التي يمكن للمفسِّر أن يوظِّفها في عملية التفسير[٢٠].

اللغة :

إن من بين العلوم الضرورية في علم التفسير هو علم اللغة العربية. وفي ذلك يقول الحافظ جلال الدين السيوطي: «لا يحلّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب»[٢١].

إن تأثير اللغة في التفسير ليس من الأمور التي نحتاج في إثباتها إلى إطالة الكلام. وإن هذا التأثير ينظر له الشيخ الشيخ معرفت بأهمية بالغة، وقد عقد له في كتابه القيّم «التمهيد في علوم القرآن» فصلاً مسهباً ومستوعباً، بحث فيه تأثير اللغة في فهم إعجاز القرآن الكريم[٢٢]. وبعد نقله تحقيقاً ممتعاً عن أبي هلال وأبي سليمان البستي في فروق اللغة، أضاف قائلاً: «رأينا من المناسب أن نستدرك على البستي

---

[١٩] - انظر: محمد هادي معرفت، علوم قرآني: ٧.
[٢٠] - انظر: معرفت، علوم قرآني: ٨
[٢١] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن٤: ٢١٣
[٢٢] - حيث استغرق هذا البحث ما يقرب من ثلاثين صفحة (٢٥ ـ ٥٣)، انظر: التمهيد في علوم القرآن، ج٥.

بعض ما فاته، وليس الغرض الاستيعاب...»[٢٣]. ثم بادر بنفسه إلى بيان فروقٍ لغوية أخرى ضمن بحث شيِّق بحث فيه قواعد لغوية أخرى.

ضرورة اللغة العربية للمفسّر بوصفها علماً (لا مصدراً):

إن المصادر اللغوية في الغالب لم تفرّق بين المفاد الاستعمالي والمفاد الجدي والحقيقي والمجازي والكنائي للألفاظ، بل نرى في بعض الموارد اختلافاً عميقاً في آراء اللغويين، بل قد يكون اجتهادهم في بعض الأحيان دخيلاً في بيان معاني المفردات. يضاف إلى ذلك أننا نرى أحياناً بين الأساليب البيانية والدوافع إلى تدوين الكتب اللغوية اختلافات حاسمة. إن غفلة المفسر في الخلط بين المفهوم والمصداق، وأسباب وكيفيات عدول المتكلم عن المعنى الوضعي إلى المعنى المجازي أو المعنى الكنائي وما إلى ذلك، تُعَدّ من أسباب وقوع المفسر في الأخطاء والمغالطات. من هنا يجب على المفسّر؛ للوصول إلى معاني الألفاظ، أن يتعلّم القواعد والضوابط التي يتوصل علماء اللغة من خلالها إلى اكتشاف معاني المفردات، ودوّنوا في ذلك المؤلَّفات. كما يجب عليه أن يتمتع بالكفاءات التي تضمن له عدم الوقوع في الخطأ في فهم معاني الألفاظ.

الأدب العربي (علم الصرف):

الحقيقة هي أن القرآن قد نزل باللغة العربية، وعليه لا يمكن لأي مفسر أن يعفي نفسه من فهم ظاهر الآيات الإلهية، ورفع الإبهام والغموض عنها، بحجّة الخوض في الأبحاث التفسيرية المتقدّمة. إن الأبحاث الأخرى وإنْ كانت على جانب كبير من الأهمية، ولكنْ لا بُدَّ من أن نأخذ بجدّية الاهتمام بـ «علم الصرف» و«علم النحو» بوصفهما مقدمة لفهم القرآن الكريم. وإن المحققين الكبار، من أمثال: العلامة الطباطبائي والمحقِّق معرفت، من خلال اهتمامهما بهذه المقدّمة في مجال التفسير عمدا إلى إزاحة جميع الأوهام عن أذهان المختصين في التفسير.

الأدب العربي (علم النحو):

لا خلاف في تأثير علم النحو على عملية التفسير بين المفسرين، وعليه لا حاجة بنا إلى إطالة الكلام في هذه الناحية. من هنا سنكتفي بنقل نماذج عن تأثير علم النحو في علم التفسير.

[٢٣] - معرفت، التمهيد في علوم القرآن ٥: ٣٣

من الناحية النحوية يعتبر «تعلُّق الجار والمجرور بالمعنى الفعلي» من المباحث الدقيقة جداً، والتي تؤثِّر في فهم معنى النصّ. بحيث لم يقتصر الأمر على بحثه من قبل ابن هشام الأنصاري في «مغني اللبيب»، حيث عقد له فصلاً مسهباً[٢٤]، بل نرى في هذا الشأن جهوداً من قبل المتأخِّرين أيضاً، وهي تستحقّ التقدير.

إن من بين المساحات الزاخرة بالمعاني في علم النحو هو هذا البحث المسمّى بـ «تعلُّق الجار والمجرور». وفي هذا الشأن نقف على دقّة جديرة بالثناء من الشيخ معرفت في الرد على أولئك الذين فهموا من كلمة «العين» في آيات من قبيل: قول الله سبحانه وتعالى: (وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) (هود: ٣٧)، و(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) (القمر: ١٤)، العين الباصرة، ودعوى التجسيم؛ إذ قال في هذا الشأن: «إن المراد في الجميع هي الرعاية الخاصة... إن هذا النحو من الاستعمال لا يقصد منه سوى هذا المعنى، حتّى في مَنْ كانت له الجارحة المعهودة؛ وذلك لأن دخول الباء عليها متعلّقة بفعلٍ مذكور يجعلها ظاهرة في معنى الرعاية، أما الجمود على ظاهر اللفظ حينئذٍ فيقتضي وقوع الفعل المذكور في نفس الجارحة، وهو فاسدٌ قطعاً، فليس المراد سوى وقوعه تحت الرعاية الخاصة»[٢٥].

ثم استطرد الشيخ ، ليواجه أصحاب هذا الفهم الخاطئ بإشكالٍ آخر؛ إذ يقول: «لو كان المراد نفس الجارحة لم يصحّ الإفراد ولا الجمع في مثل الآيات المذكورة؛ حيث إضافتها إلى شخصٍ واحد. فإذا قلت: إنك تفعل بعيني أو بأعيننا لم يصحّ وأنت ذو عينين إذا كنت قصدت الجارحة الخاصة»[٢٦].

كما حمل الشيخ معرفت «لام» الجرّ في قوله تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ) (الأعراف: ١٧٩) بمهارته الأدبية على «العاقبة»[٢٧]. ومن خلال مقارنة هذه الآية بكلمات مشابهة، من قبيل: قوله تعالى: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً) (القصص: ٨)، والكلام المنسوب لأمير المؤمنين ع : «إِنَّ للهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ»[٢٨]، ينفي العلية عن اللام، وبذلك يُخرج الآية عن محل تمسّك القائلين بالجبر[٢٩].

---

[٢٤] - انظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢: ٤٣٣ ـ ٤٥٠.
[٢٥] - محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن ٣: ١٤٨ ـ ١٤٩.
[٢٦] - المصدر السابق: ١٤٩.
[٢٧] - انظر: النحو الوافي ٢: ٤٤٢، المعنى الثالث عشر لـ (اللام).
[٢٨] - نهج البلاغة، قصار الكلم، الحكمة رقم ١٣٢.
[٢٩] - انظر: معرفت، التمهيد في علوم القرآن ٣: ١٩٤.

علم البلاغة :

إن علم البلاغة مزيجٌ من الفنون الثلاثة، وهي: «المعاني؛ والبيان؛ والبديع». وإن علم المعاني يبحث في الكلام من حيث الفصاحة ومطابقته لمقتضى الحال؛ وعلم البيان يبحث في الاستعارة والمجاز والتشبيه والكناية؛ وعلم البديع يبحث في المحسِّنات اللفظية والمعنوية للكلام[٣٠].

تأتي دراسة علم البلاغة في إطار التعرّف على أسرار وخفايا اللغة العربية لفهم إعجاز القرآن الكريم[٣١].

لا يمكن إنكار دور علم المعاني في تحليل أجزاء الجملة. كما تجد استعمال التشبيه والكناية والمجاز في جميع الآيات القرآنية. وإن بعض المحسنات اللفظية في علم البديع[٣٢] مؤثِّر للغاية في فهم ظاهر الآيات. وسوف نبدأ بدور علمَيْ المعاني والبيان، لننتقل بعد ذلك إلى دور علم البديع.

أ- علم البلاغة (المعاني والبيان):

إن لعناصر علم البلاغة تأثيراً ملحوظاً في فهم وتحليل النصوص. بَيْدَ أن للقرآن الكريم في الوقت نفسه خصوصية تجعل استعمال المجاز والكناية فيه جليّاً على نحو أكبر.

وقد قال الشيخ معرفت في توضيح هذه الخصوصية: «قد أكثر القرآن من أنواع الاستعارة، وأجاد في فنونها، وكان لا بُدَّ منه وهو آخذٌ في توسّع المعاني توسّع الآفاق، في حين تضايقت الألفاظ عن الإيفاء بمقاصد القرآن لو قيِّدت بمعانيها الموضوعة لها محدودة النطاق... جاء القرآن بمعان جديدة على العرب لم تكن تعهدها، وما وضعت ألفاظها إلاّ لمعان قريبة، حسب حاجاتها البسيطة البدائية قصيرة المدى... ومن ثمّ لجأ القرآن في إفادة معانيه والإشادة بمبانيه إلى أحضان الاستعارة والكناية والمجاز، ذوات النطاق الواسع»[٣٣].

نماذج من تأثير علم المعاني والبيان في تفسير القرآن

قال الشيخ معرفت في ملاحظة من ملاحظاته بشأن قول الله سبحانه وتعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى: ١١): «زعموا زيادة الكاف هنا؛ فراراً من المحال العقلي؛ إذ لو كانت باقيةً على أصلها للزم التسليم بثبوت المثل!... ولكن لتوجيه هذا الكلام

---

[٣٠] - انظر: المصدر السابق ٥: ٨٣، ٩٤ ـ ٩٥.
[٣١] - انظر: سعد الدين التفتازاني، شرح مختصر المعاني: ١٠.
[٣٢] - من قبيل: المشاكلة، والإيهام، وإيهام التناسب، والالتفات، والاستخدام، وما إلى ذلك.
[٣٣] - معرفت، التفسير المفسرون في ثوبه القشيب ١: ٩٧ ـ ٩٨.

تأويلٌ آخر أدقّ، وهو أن الآية لا ترمي إلى نفي الشبيه له تعالى فحَسْب؛ إذ كان يكفي لذلك أن يقول: «ليس كالله شيءٌ»، أو «ليس مثله شيء»، بل ترمي من وراء ذلك إلى تأييد النفي بما يصلح دليلاً على الدعوى، والإلفات إلى وجه حجّية هذا الكلام، وطريق برهانه العقلي. ألا ترى أنك إذا أردت أن تنفي نقيصة عن إنسان، فقلت: «فلان لا يكذب، أو لا يبخل»، كان كلامك هذا مجرّد دعوى لا دليل عليها. أما إذا زدت كلمة المثل، وقلت: «مثل فلان لا يكذب، أو لا يبخل» فكأنك أيَّدْتَ كلامك بحجّةٍ وبرهان؛ إذ مَنْ كان على صفاته وشيمه الكريمة لا يكون كذلك؛ لأن وجود هذه الصفات والنعوت ممّا يمنع عن الاستسفال إلى رذائل الأخلاق... فجيء بأحد لفظي التشبيه ركناً في الدعوى، وبالآخر دعامة لها وبرهاناً عليها»[٣٤].

وقال الشيخ معرفت في قوله تعالى: (وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) (المائدة: ٦٤): «غلّ اليد وبسطها كنايتان[٣٥] عن الإمساك والإنفاق، كما في قوله تعالى: (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) (الإسراء: ٦٩)؛ إذ ليس المقصود شدّ يديه إلى رقبته، كالكسير، ومدّهما إلى طرفيه أفقياً، كلاعب رياضة. غير أن صاحب الذوق الأشعري لا يرى سوى الجمود على ظاهر التعبير، بعيداً عن ذوق العرب الرقيق»[٣٦].

وقال معرفت في الردّ على فهم المجسمة لقوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ) (القصص: ٨٨)، حيث حملوا «الوجه» على العضو الظاهري: «ليس المعنى الباقي بعد فناء كل شيء هو وجهه بمعنى العضو، بل المراد: لا يبقى شيء سوى ذاته المقدَّسة تبارك وتعالى»[٣٧]. إن الحصر من مسائل علم المعاني[٣٨]، وقد استدل به الشيخ معرفت في ما نحن فيه؛ للردّ على المجسّمة.

ب ـ علم البلاغة (علم البديع):

إن علم البديع هو علم المحسِّنات اللفظية والمعنوية في الكلام. وإن المحسّنات اللفظية هي المحسّنات التي تتغيّر بتغيّر الألفاظ، من قبيل: الجناس. أما المحسّنات المعنوية فهي التي لا يكون تغيّر الألفاظ فيها ملازماً لتغيّرها وزوالها، من قبيل: التورية والمشاكلة وما إلى ذلك.

---

[٣٤] ـ المصدر السابق ٥: ٥٦ ـ ٥٧.
[٣٥] ـ ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: (لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا) (آل عمران: ١٨١).
[٣٦] ـ معرفت، التمهيد في علوم القرآن ٣: ١٤٩.
[٣٧] ـ المصدر السابق ٣: ١٤٦.
[٣٨] ـ انظر: التفتازاني، شرح مختصر المعاني، باب القصر: ١١٥.

علم الفقه :

إن من العلوم التي تعتبر من العلوم الضرورية للمفسّر هو علم الفقه[٣٩]. إن علم الفقه هو تفصيل لما يجمله القرآن الكريم أحياناً. وقد كتب الشيخ معرفت في ذلك قائلاً: «إن في القرآن الكريم من أصول معارف الإسلام وشرائع أحكامه... وقد تصدّى النبي‘ لتفصيل ما أجمل في القرآن إجمالاً، وبيان ما أبهم منه؛ إما بياناً في أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة؛ أو تفصيلاً جاء في جلّ تشريعاته من فرائض وسنن وأحكام وآداب. كانت سنته‘، قولاً وعملاً وتقريراً، كانت كلُّها بياناً وتفسيراً لمجملات الكتاب العزيز، وتفسيراً لمجملات الكتاب العزيز، وحلّ مبهماته في التشريع والتسنين»[٤٠].

وبشكلٍ عام يمكن من خلال الاستفادة من الأحكام الشرعية ـ التي هي ثمرة الاستناد إلى الأدلة الفقهية الأربعة ـ؛ بوصفها قرينةً لفهم تلك المجموعة من الآيات التي يتنافى ظهورها الأوّلي مع الأحكام الفقهية القطعية، الوصول إلى المراد الواقعي لله سبحانه وتعالى[٤١].

لقد ذكر الشيخ معرفت، على هامش قوله تعالى: (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) (الحجّ: ٣٠)، الكثير من الروايات التي ترى «الغناء» من مصاديق «قول الزور»، ثم استطرد في ذكر روايات أخرى استظهر منها أن مراد الروايات هو «بيان المصداق»، وليس «بيان الاتحاد المفهومي بين قول الزور والغناء»، ثم قال: «كل ذلك دليل على أن الغناء إنما يحرم إذا صدقت عليه العناوين الباطلة، من اللهو المُغْري، واللغو المفسد، وقول الزور. أما إذا لم يكن من ذلك ـ كما إذا كان وسيلةً للتأثير بالمواعظ الحسنة، وزرع الفضيلة والمكرمات في النفوس المستعدة ـ فهذا إلى الحقّ أقرب منه إلى الباطل»[٤٢].

ثم عمد إلى إثبات هذا الكلام في الفقه أيضاً؛ إذ يقول: «وفي الأحاديث الصحيحة ما يدلّ على هذا التنويع في الغناء إلى: حرامٍ وحلال، وفساد وصلاح، وسبيل شرّ وسبيل خير»[٤٣].

وبعد أن ذكر سماحته الروايات الدالة على ما ذهب إليه، أضاف قائلاً: «ولا يخفى أن الحكم الشرعي إذا تعنون ـ في لسان الشريعة ـ بعنوان خاص فإنه يتقيَّد به لا محالة، ولا يكون على إطلاقه؛ ذلك لأن تعليق الحكم على وصف مشعرٌ بعليته،

---

[٣٩] ـ انظر: معرفت، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ١: ٥٧.
[٤٠] ـ المصدر السابق ١: ١٥٧ ـ ١٥٨.
[٤١] ـ انظر: محمود رجبي، روش شناسي تفسير قرآن: ٣٦٥.
[٤٢] ـ معرفت، التمهيد في علوم القرآن ٥: ١٨٣.
[٤٣] ـ المصدر نفسه.

وعليه لا يكون الغناء بوصفه الأوّلي محرَّماً إلا إذا تعنون بهذه العناوين: إذا كان لهوياً، أو عاملاً انحرافياً، أو باعثاً على المعاصي من النفاق والكذب و...»[٤٤].

كما يُعَدّ القرآن واحداً من مصادر الفقه أيضاً. بَيْدَ أن هناك اختلافاً في مساحة آيات الأحكام.

علم أصول الفقه :

اختلف علماء الأصول في تعريف هذا العلم، بَيْدَ أننا نذكر في ما يلي التعريف الذي يختاره صاحب الكفاية، حيث يقول: «صناعةٌ يعرف بها القواعد التي يمكن أن تقع في طريق استنباط الأحكام، أو التي ينتهى إليها في مقام العمل»[٤٥].

يتم تقسيم مباحث علم الأصول في بعض تقسيماته إلى أربعة أقسام[٤٦]،

وهي: مباحث الألفاظ، والمقدمات العقلية، ومباحث الحجّة، والأصول العملية[٤٧].

إلاّ أن القسم الرابع من هذه الأقسام (الأصول العملية) لا يلعب دوراً في علم التفسير.

وأما من مباحث الحجّة فيتم توظيف حجية خبر الواحد، وحجية قول اللغوي، والإجماع، والتعادل والتراجيح، في التفسير. وأما مباحث الألفاظ فهي مؤثّرة بأجمعها في علم التفسير.

وفي الحقيقة فإن علم الأصول هو منهج وأسلوب فهم النصّ، وبذلك فإنه لا يقتصر على علم الفقه فقط، وإنْ كان هدف المؤسِّسين له هو علم الفقه. وعليه يُعَدّ علم الأصول واحداً من الأدوات الهامة في فهم القرآن الكريم، كما صرّح بذلك الشيخ معرفت في بعض كتاباته أيضاً[٤٨].

علم التاريخ :

---

[٤٤]- المصدر السابق ٥: ١٨٤.

[٤٥] - محمد كاظم الخراساني، كفاية الأصول: ١٩.

[٤٦] - إن هذا التقسيم الرباعي لمباحث علم الأصول هو من ابتكارات الشيخ الأصفهاني وتلميذه صاحب القلم المبدع الشيخ المظفَّر.

[٤٧] - انظر: محمد رضا المظفر، أصول الفقه ١: ٢٢.

[٤٨] - انظر: مجلة بينات الفصلية، العدد الخاصّ بتغطية المعرض الثالث للقرآن الكريم، مقال: (شناخت زبان قرآن).

هناك فرقٌ واضح بين علم التأريخ وبين المصادر التاريخية؛ فإن علم التأريخ هو العلم المتعلق بتحليل الأحداث والوقائع التاريخية المذكورة في المصادر التاريخية، ومقارنتها ببعضها، وتحديد ما هو الصحيح وما هو المجانب للصواب منها.

وقد ذهب الشيخ معرفت إلى اعتبار علم التأريخ من العلوم الضرورية بالنسبة إلى المفسّر[٤٩]؛ فإن قسماً كبيراً من آيات القرآن الكريم ناظرٌ إلى المسائل التاريخية، من قبيل: الآيات الناظرة إلى مباحث من قبيل: تاريخ الأنبياء ع ، والأمم السابقة، وأحداث ما قبل الإسلام، والتقاليد والأعراف التي كانت سائدة في عصر الجاهلية، الأعمّ مما أنكره الإسلام أو أقرّه، أو الشرائع التي نسخها الإسلام وما إلى ذلك.

وليس هناك من شكٍّ في تأثير العلم بدقائق الظواهر التاريخية على فهم آيات القرآن على النحو الأفضل والأكمل والأدقّ. وإن العلم بالأصول والقواعد المعتمدة في الوصول إلى هذه الوقائع التاريخية المنقولة في المصادر، والحكم بشأن صحتها وعدم صحّتها، يُعَدّ واحداً من العلوم التي تلعب دوراً مؤثراً في تفسير الآيات[٥٠].

ومضافاً إلى ذلك لا يمكن أن يخفى الدور الهام لعلم التأريخ في دفع المفسّر نحو فضاء القرائن الحالية والمقالية لعصر النزول. فإن من بين مواطن الغموض التي نعاني منها في ما يتعلق بالتعاطي مع بعض الآيات هو أننا لا نستطيع أن نتساوى مع الذين خاطبهم القرآن في عصر النزول في طريقة نظرهم إلى الآيات القرآنية، وإن علم التأريخ هو من الأمور التي تقرِّبنا من نظرتهم إلى القرآن، وفهمه كما كانوا يفهمونه.

علم الكلام :

إن علم الكلام ـ الذي يُعبَّر عنه بـ «علم أصل الدين»، أو «علم التوحيد والصفات» أيضاً ـ علمٌ يُعنى بالعقائد، وإثباتها بالأدلة والبراهين، وكذلك الدفاع عنها من خلال الإجابة عن الشبهات[٥١].

وقد ذهب الراغب الأصفهاني[٥٢] وجلال الدين السيوطي[٥٣] وسائر المختصين في العلوم القرآنية إلى اعتبار «علم الكلام» من العلوم الضرورية في علم التفسير. وقد أكد الشيخ معرفت على ضرورته للمفسّر أيضاً[٥٤].

---

[٤٩] ـ انظر: معرفت، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ١: ٥٥ ـ ٥٩.
[٥٠] ـ انظر: محمود رجبي، روش شناسي تفسير قرآن: ٣٧٠.
[٥١] ـ انظر: شرح المواقف ١: ٣٤.
[٥٢] ـ انظر: مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني: ٩٧.

إن القرآن الكريم يشتمل على أدلة مقتضبة ومختصرة في إثبات العقائد الإسلامية، وهي لذلك بحاجة إلى تفصيلٍ وتوضيح. وإن التعرّف الأكمل على الموضوعات والمسائل التي تناولها القرآن باختصار يُمثِّل واحداً من الطرق التي تشكل قرينة لرفع الغموض الذي يكتنف تلك الأدلة القرآنية المختصرة

العلوم التجريبية والطبيعية :

قال بدر الدين الزركشي: «كل مَنْ كان حظه في العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر»[٥٥].

إن المراد من العلوم التجريبية هي العلوم الطبيعية التي تشمل المنظومات المعرفية الناظرة إلى الظواهر الطبيعية ومتغيّراتها[٥٦].

وإن موضوع كلام الله سبحانه وتعالى في الكثير من آيات القرآن يتعلق بالظواهر الطبيعية في العالم[٥٧]، حيث عمد الله سبحانه في هذه الآيات ـ وفي إطار هداية الإنسان ـ إلى توضيح وتبيين منظومة سلسلة من الظواهر في عالم الطبيعة، من قبيل: الإنسان، والحيوان، والنباتات، والسماوات، وما إلى ذلك، وعمل على توظيفها في طرح المسائل الاعتقادية، والأخلاقية. وتُعَدّ العلوم التجريبية مؤثِّرة للغاية في الفهم الصحيح والتام لهذه المجموعة من الآيات. ففي تفسير هذه الآيات وفي ضوء توظيف العلوم التجريبية نشهد انكشاف أمور كانت خافية على المفسرين المتقدمين[٥٨].

وقد ذهب الكثير من المحققين والباحثين في الشأن القرآني إلى اعتبار العلوم التجريبية من العلوم الضرورية التي يحتاجها المفسّر في عملية التفسير[٥٩].

---

[٥٣] ـ انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢١٥.
[٥٤] ـ انظر: معرفت، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ١: ٥٧.
[٥٥] ـ الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٢: ٢٥.
[٥٦] ـ انظر: محمود رجبي، روش شناسي تفسير قرآن: ٣٦٧.
[٥٧] ـ انظر: معرفت، التمهيد في علوم القرآن ٦: ٦ ـ ٧، ١٣.
[٥٨] ـ انظر: المصدر السابق: ٣٦٨.
[٥٩] ـ وقد عدّ الشيخ معرفت من بين هؤلاء المحققين: بدر الدين الزركشي، والشرقاوي، والشهيد الصدر. (انظر: معرفت، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ٢: ٤٥٧ ـ ٤٥٨).

علم الموهبة:

لقد أكّد الله سبحانه وتعالى في مواطن متعدِّدة من القرآن الكريم، من قبيل: قوله تعالى:

ـ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت: ٦٩).

ـ (وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّاً) (مريم: ٧٦).

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الأنفال: ٢٩).

على القول بأن مرآة وجود الإنسان إذا كانت صافيةً وغير صدئة أمكن لها أن تكون مركزاً تتجلّى فيها الحقائق العلوية والجواهر السماوية.

وقال العلامة الطباطبائي، بعد بيان بحثٍ بديع حول الارتباط بين العلم والعمل الصالح وباطن الإنسان: «إن للناس بحَسَب مراتب قربهم وبعدهم منه تعالى مراتب مختلفة من العمل والعلم، ولازمه أن يكون ما يتلقاه أهل واحدة من المراتب والدرجات غير ما يتلقاه أهل المرتبة والدرجة الأخرى التي فوق هذه أو تحتها، فقد تبين أن للقرآن معاني مختلفة مترتبة. وقد ذكر الله سبحانه أصنافاً من عباده، وخصّ كل صنف بنوع من العلم والمعرفة لا يوجد في الصنف الآخر، كـ «المخلصين»، وخصّ بهم العلم بأوصاف ربّهم حقّ العلم... وخصّ بهم أشياء أخر من المعرفة والعلم، سيجيء بيانها إن شاء الله تعالى؛ وكـ «الموقنين»، وخصّ بهم مشاهدة ملكوت السماوات والأرض»[٦٠].

وفي الحقيقة إن أفعال الإنسان هي التي تمهّد لطهارة النفس أو تدنيسها، وازدهار وانتعاش الميول المتدنية أو المتعالية للإنسان. وإن وجود هذا النوع من الملكات تؤدّي إلى اكتساب أو زوال نوع من المعرفة، أو تقويتها وضعفها، ودقتها أو عدم دقتها.

وقد استند العلماء في مقام إثبات هذه الحقيقة إلى الروايات الناظرة إلى تأثير سلوك الإنسان في التمهيد للحصول على العلم الجديد، ولا سيَّما الحديث الشريف القائل: «مَنْ عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم»[٦١].

---

[٦٠] ـ الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ١: ٣٦.
[٦١] ـ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار ٤٠: ١٢٨.

ومضافاً إلى ذلك فقد رُوي عن أمير المؤمنين ع أنه قال: «إن الله جَلَّ ذكرُه؛ بسعة رحمته، ورأفته بخلقه، وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كلامه، قسّم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل؛ وقسماً لا يعرفه إلا مَنْ صفا ذهنه، ولطف حسّه، وصح تمييزه، ممَّنْ شرح الله صدره للإسلام؛ وقسماً لا يعرفه إلا الله وأمناؤه والراسخون في العلم»[٦٢].

وقال الفيض الكاشاني: «مَنْ أخلص الانقياد لله ولرسوله' ولأهل البيت ع ، وأخذ علمه منهم، وتتبّع آثارهم، واطّلع على جملة من أسرارهم، بحيث حصل له الرسوخ في العلم، والطمأنينة في المعرفة، وانفتح عينا قلبه، وهجم به العلم على حقائق الأمور، وباشر روح اليقين، واستلان ما استوعره المترفون، وأنس بما استوحش منه الجاهلون، وصحب الدنيا ببدن روحه معلقة بالمحلّ الأعلى، فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه، ويستنبط منه نبذاً من عجائبه، ليس ذلك من كرم الله تعالى بغريبٍ، ولا من جوده بعجيبٍ»[٦٣].

ومن الجدير بالذكر أنه لا ينبغي الخلط بين علم الموهبة وبين سرعة انتقال الذهن أو نشاطه أو دقّته البالغة. وفي الوقت نفسه ينبغي عدم اعتبار كلام بعض مَنْ يدّعي الباطن، والجماعات المنحرفة الذين يتمسَّكون بالقرآن لإثبات مدَّعياتهم، ويستندون إلى الذوقيات دون توظيف للمستندات العلمية، و«علم الموهبة» شيئاً واحداً[٦٤].

---

[٦٢] - المصدر السابق ٨٩: ٤٥.
[٦٣] - الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ١: ٣٦.
[٦٤] - انظر: محمود رجبي، روش شناسي تفسير قرآن: ٣٧٦.

الخاتمة :

ومن ذلك يظهر ما للعلوم القرآنية من دور مهم يتكامل بانضمام علم الى آخر ومن ثم النظر التحليلي الدقيق الذي يعطينا الصورة العظيمة للكلمات في استعمالها وللجمل في تركيبها وللسياقات وصياغتها وللايات ونظمها وللسور وبنائها وللقرآن بترابطه ، حيث يقف عاجز الانسان عن ادراك تلك الاسرار والكنوز من دون التوفيق الالهي والدخول من أبواب العلم ومعدنه وأهله وهم أهل البيت ع والراسخون بالعلم .

المصادر :

١- الدكتور علي سميسم ، محاضرات اسس تحليل النص القرآني

٢- الصدوق، كتاب التوحيد

٣- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن

٤- محمود رجبي، روش شناسي تفسير قرآن

٥- محمد هادي معرفت، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب

٦-جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،

٧-جوادي الآملي، تفسير موضوعي قرآن

٨- تنقيح المقال.

٩- معرفت، التفسير الأثري الجامع

١٠- الكليني، الكافي

١١- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن

١٢- مصطفى الخميني، تفسير القرآن الكريم

١٣- محمد كاظم الخراساني، كفاية الأصول

١٤- مفاتيح الأصول

١٥- مصطفى الخميني، تحريرات في الأصول

١٦- محمود رجبي، روش شناسي تفسير قرآن

١٧- محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

١٨- السيوطي، البهجة المرضية، باب التصريف.

١٩- جلال الدين السيوطي، التحبير في علم التفسير

٢٠- الرضي، شرح الشافية

٢١- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب

٢٢- النحو الوافي
٢٣- نهج البلاغة، قصار الكلم
٢٤- سعد الدين التفتازاني، شرح مختصر المعاني
٢٥- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن
٢٦- محمد بن محمد الزمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنـزيل
٢٧- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة
٢٨- الزركشي، البرهان في علوم القرآن
٢٩- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن
٣٠- محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن
٣١- مجلة بينات، العدد ٤، السنة الحادية عشرة.
٣٢- انظر: مجلة بينات، العدد ٤، السنة الحادية عشرة.
٣٣- محمد كاظم الخراساني، كفاية الأصول
٣٤- محمد رضا المظفر، أصول الفقه
٣٥- السيد أبو القاسم الخوئي محاضرات في أصول الفقه
٣٦- شرح المواقف
٣٧- مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني
٣٨- تقريب القرآن إلى الأذهان
٣٩- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار
٤٠- الفيض الكاشاني، تفسير الصافي